مجلـــة بدايـــات
Revue :Bidayat ISSN: 2676-198X
المجلد: الرابع (04) / العدد: الثاني(02) / جوان 2022 / ص ص: 138-147

الأدب الشعبي الأمازيغي بالريف شمال المغرب (المثل، والحكاية نموذجا)

Amazigh Folk Literature in Rif northern Morocco

عبد الحكيم مصلوح[1]

Abdelhakim Masslouh[1]

[1] **جامعة ابن طفيل القنيطرة (المغرب)**

البريد الإلكتروني : Abdhkm17@gmail.com

تاريخ الإرسال:08-03-2022	تاريخ التحكيم: 25-04-2022	تاريخ القبول: 27-04-2022	تاريخ النشر: 22-06-2022

ملخص البحث

الأمثال والحكايات من أهم الموروثات الأدبية الشعبية في الريف. على مر التاريخ ، تمكن الريفيون من خلق عدد مهم من هذه الموروثات الشعبية ، والتي توارثتها الأجيال على الرغم من غلبة الطابع الشفهي عليها ، من خلال الاعتماد على الذاكرة. ما يميز هذا التراث الأدبي أنه كان وسيلة للتعبير عن المشاعر الفردية والجماعية. أحلام الناس وأفراحهم وأحزانهم.

تتميز الأمثال الريفية بأصالتها وإيجازها وواقعيتها ، وتعبر عن ثقافة المجتمع الريفي ، وترمز إلى هويته ، بالإضافة إلى كونها وسيلة لإبراز قيم العمل والتضامن والتماسك والكرم.

كما احتلت الحكايات مكانة بارزة في المجتمع الريفي ، بحيث استمتعت العائلات بالحكايات مثلما استمتعوا بالشاشات الذكية هذه الأيام. وكان الأطفال يجتمعون دائمًا حول أفراد الأسرة الحكماء (رجال ونساء) لسماع حكايات ذات معاني عميقة ورسائل ثرية. وهذه القصص عديدة في الريف ، ولكل منها موضوعها الخاص ، لكنها تلتقي في طريقة ووقت سردها ، والأدوات المستخدمة في ذلك.

الكلمات المفتاحية : الريف؛ الأدب الشعبي؛ المثل الشعبي؛ الحكاية الشعبية.

Abstract:

Proverbs and tales are among the most important folk literary legacies in RIF. Throughout history, Rifians have been able to create an important number of these folk legacies, which were passed on by generations despite the predominance of oral character over them, through reliance on memory. What distinguishes this literary heritage is that it was a way for expressing individual and collective feelings; the dreams of people, their joys and sorrows.

The Rifian proverbs are distinguished by their originality, brevity and realism, and expresse the culture of the Rifian community, and a symbolise its identity, in addition to being a way to highlight the values of work, solidarity, cohesion and generosity.

Tales, as well, had a prominent place in the rural community, so that families had enjoyed tales as the same as they are enjoying smart screens nowdays. And the children have been always gathering around the wise family members (men and women), to hear tales which have deep meanings and rich messages. And these stories are numerous in Rif, each one with its own subject, but they meet in the manner and time of its narration, and the tools employed in that.

Kays words : Rif, folk literature, folk proverb, folk tale.

المؤلف المرسل : عبد الحكيم مصلوح – Abdhkm17@gmail.com

مقدمة

للريف تراث شعبي غني ومتنوع، وميزته أنه في الغالب مشترك بين عموم القبائل الريفية الواقعة في أقاليم شمال المغرب، وعلى وجه التحديد في " الناضور، ادريوش، الحسيمة" أو ما يعرف بالريف –الإثنوثقافي–، أي ذلك الريف الذي تتقاسم ساكنته حدا هاما من النظم والأنساق الثقافية، كاللغة ونسيج الأعراف، وأشكال التعبير الفني، وملابسات المحيط الإيكولوجي، إلى جانب الأجناس الأدبية المختلفة مثل (الأمثال، والحكايات، والأشعار)، وهي المعروفة بالآداب الشعبية عند شعوب العالم، وهي ذات طبيعة اجتماعية وانسانية تعالج مواضيع متنوعة عاكسة للخصوصيات المعنوية والجمالية الموحية بصفاء نفسية الانسان الأمازيغي الريفي وصدقها في التعامل مع الحياة والطبيعة والعالم.

وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على الأدب الشعبي الريفي من خلال اتخاذ، الحكاية والمثل كنماذج للدراسة، منطلقين من السؤال التالي: هل خلف الريفيون تراثا أدبيا شعبيا؟.

وانطلاقا من هذا السؤال، نفترض أن للريفيين تراثا أدبيا شعبيا غنيا ومتنوعا، إذ أبدعوا أمثالا، وحكايات عديدة تناقلتها الأجيال عبر الزمن.

إذن، فمن خلال هذه الدراسة سنحقق هدفين أساسين، وهما:

– التعريف بالمثل الشعبي بالريف، مع تقديم بعض خصائصه، وعرض نماذج من الأمثلة الشعبية المتداولة؛

– التعريف بالحكاية الشعبية بالريف، مع تبيان خصائصه ووظائفه.

1– الأدب الشعبي

الادب الشعبي هو المرآة التي تعكس الصورة الحقيقية لحياة مجتمع من المجتمعات، ويعرفه المستشرق الايطالي (جونافي كانوفا): " هو الادب الشعبي الشائع في الطبقات التي تسمى عادة بشعب أو عامة، وله ميزات خاصة به في بعض الأحيان ومشابهات مع الأدب (الكلاسيكي)، ويستعمل اللهجة المحلية أو لغة شبه فصيحة، سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية"[1]، إذن فالآدب الشعبي هو إبداع محلي من قبل جمهور أو أفراد من الناس يشتركون المجال الجغرافي وأيضا عدد من النظم الثقافية والاجتماعية والدينية، إذ يتمكنون عبر لغتهم المحلية صياغة أشكالا ثقافية أدبية مختلفة يعبرون من خلالها عن أفراحهم وأحزانهم وأمالهم...الخ.

والأدب الشعبي غني بالرموز التي تكشف عن تجارب الانسان مع نفسه ومع الكون من حوله، فإضافة كلمة أدب إلى مصطلح شعبي تعني الدخول بالشعبيات المتوارثة إلى مرحلة الشكل الفني والمضمون الدرامي لهذا الموروث الشعبي المتوارث، والحصيلة أن الأدب الشعبي ينتمي جذريا لتراث المجتمع، بل يحمل تراث أمة بأكملها، ينمو بنموها ويتطور بتطورها، فالأدب الشعبي، تراث ثقافي وتاريخي وفكري الذي ينتقل بفكرة الأمة وعاداتها وتقاليدها وحكاياتها وقصصها وأنسابها ومعتقداتها من جيل إلى جيل[2]، ويعتمد الأدب الشعبي في انتقاله من جيل لأخر على الرواية والحفظ معتمدا على خاصية مهمة هي مجهولية المؤلف، التي تقتضي أن يكون المبدع حاملا لهموم الشعب، وهكذا تكون عملية تناقل النص الشعبي عملية إبداعية، فيكون النص

الإبداعي في حركة مستمرة من التجديد[3]، أي أنه دائم التحول والتطور، غير ثابت على مضمون وشكل واحد، بل يستقي تفاصيله من الواقع المعاش، لكونه المعبر عن نفسية الشعب الهادف إلى خيره وتقدمه سواء اتخذ اللهجة العامية أو الفصحى وسيلة للتعبير، عرف قائله أو لم يعرف، دون أو لم يدون[4]

وقد ارتبط الأدب الشعبي في بداية استخدامه بمصطلح الفلكلور الذي يعتبر عند عدد من الباحثين أكثر دلالة عند تطبيقه على المظاهر الأدبية غير المدونة، بحيث يتم تعريف الفلكلور على أنه أدب انتقل عبر المشافهة[5]، وهو واحد من جملة مصطلحات تعبر المضمون ذاته مثل، الفولكسنكده، والمأثورات الشعبية، والتراث الشعبي[6]، وإلى جانب هذه العلاقة بين الفلكلور والأدب الشعبي، فهنالك تسميات أخرى متعددة ارتبطت بالأدب الشعبي، كالأدب الشفهي أو الفن اللفظي أو الأدب التعبيري[7].

وعموما، يتميز الأدب الشعبي بتعدد مواضيعه، منها:

- النكتة؛
- الحكاية الشعبية؛
- الألغاز؛
- الأمثال؛
- الأغاني الشعبية؛
- الأهازيج...[8].

وبهذا نخلص على أن الأدب الشعبي هو كل ما خلفه السلف للخلف من مادة قولية، تناقلته الأجيال من خلال الحفظ في الذاكرة، إذ هو موروث شفهي لا مالك أصلي له، بل ملكيته تعود لعموم الشعب الذي يتشكل منه ذلك المجال الذي نشأت فيه المادة التراثية.

2- الأدب الشعبي عند الأمازيغ

لكل شعب بصمة ثقافية، ورصيد أدبي، ومأثورات تواترت شفاها، ومن أكثر الشعوب إيغالا في عمق التاريخ نجد الأمازيغ الذين خلفوا أدبا يعتبر من مكونات الثقافة ومقومات الحضارة لديهم، ولعل من أهم ما يميز هذا الآداب أنه ينتسب إلى تراث موغل في القدم، وغني في الأشكال التعبيرية والاحتفالية، وقد غلب عليه الطابع الشفهي، في جل مراحله السابقة بتفاوت من مرحلة لأخرى لظروف تاريخية معقدة، وبقي يتوارث عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل باعتماد المشافهة والسرد والرواية بشكل أساسي[9]، إذ الأمازيغ شعب يقرأ بالأذان ويكتب بالشفاه، وهذا ينطبق على الشعر الذي يعد من أهم الأجناس الأدبية وأقدمها في الأدب الأمازيغي، وهو مرتبط بالغناء في جوهره مصطبغ بالشفوية والجماعة، أما النثر في الأدب الشعبي الأمازيغي فيشمل الحكاية، والأسطورة، والخرافة، والأمثال، والأحاجي...الخ[10].

وهذه الأجناس قديمة في الأدب الأمازيغي على غرار الآداب الأخرى تدخل في عداد الموروثات السردية التي صاغها المبدع الجماعي المجهول الهوية في غالب الأحيان، إضافة إلى أنه أدب فطري يميل إلى البساطة وهذا راجع إلى أصالة الإنسان الأمازيغي

وحياته البسيطة، ومنه فميزات الأدب الأمازيغي وخصائصه تتلاقى وتتطابق وخصائص الأدب الشعبي العام ألا وهي التناقل الشفوي، الإبداع الجماعي أي أنه صادر من أبناء الشعب وليس حكرا على أحد، أو منسوب إلى مبدع بعينه فهو أدب مجهول المؤلف يميل إلى البساطة، وهو إنتاج ذاتي متأصل الجذور لدى أصحاب الأمازيغ وليس وافد أو دخيلا على الثقافة الأمازيغية[11].

ومنطقة الريف الأمازيغية شمال المغرب، شهدت بروز موروثات أدبية شعبية عديدة، كانت الحكاية، والأمثال الشعبية من أهم هذه الموروثات والتي لها امتداد في الحاضر.

3- المثل الشعبي الأمازيغي بالريف

من المعروف أن المثل الشعبي هو عصارة الإنسان في الحياة، وثمرة تجاربه الحلوة أو المرة فوق هذه الأرض، من خلال احتكاكه بالناس وتواصله مع الأخرين، مما يعني أنه نتاج تجربة إنسانية، ولا يخلو مجتمع منها مهما كان شأنه ومستواه، فهي أداة تربوية، وتترجم فلسفة كل شعب على حدة، بلغته، وثوابته، وماضيه وحاضره، وتكرس القيم، وهي أيضا سجل للأحداث التاريخية التي تعتبر عماد الفرد داخل المجتمع سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، ومرآة تعكس حياة الشعوب على مدى الأحقاب والعصور، ومنها، تمثل الأمثال مظهرا من مظاهر التراث اشعبي[12].

وللريف أمثال شعبية عديدة تتميز بكونها أقولا شعبية مأثورة، سهلة الحفظ والسمع والتداول، تتسم بالتكثيف، والاقتضاب والايجاز، والاختصار، والاضمار، كما يطبعها التوازي والمفارقة، والسخرية، وتشابه الفواصل والسجعات، فضلا عن بساطة الجمل وتركيبها، وتميزها بخاصية الترميز، والتلميح، والتكنية، والتورية، كما تتأرجح تلك الأمثال بين الواقعية والحسية المادية، ويراد بها ضرب الحكم، وتقديم الدروس والعبر لذلك تتخذ الأمثال الأمازيغية بالريف وظائف تربوية، وتعليمية، وسوسيولوجية، وأنثربولوجية، وتاريخية، وفنية، وجمالية[13].

وما يميز أيضا المثل الشعبي الريفي أنه مجهول النسب والتأليف، إذ هو نتاج جماعي يلخص تجربة حياتية لمجموع الشعب ، فقد ينطق به بداية شخص ما، وفي أية حقبة ما، إلا أن ذلك الشخص يذوب في الجماعة[14].

أ- مواصفات الأمثلة الشعبية الريفية

تتميز الأمثال الشعبية الريفية بمجموعة من المواصفات، نذكر منها:

- الأصالة: فالمثل لدى الإنسان الريفي مرتبط بالخصوصية البيئية المحلية أي أنها نابعة من واقع الإنسان الريفي؛

- الهوياتية: بمعنى أنه يعكس هوية الإنسان الريفي على جميع الأصعدة؛

- الواقعية: يعكس واقع الإنسان الريفي في صراعاته مع الذات من جهة، وصراعه مع الواقع الموضوعي من جهة أخرى؛

- التركيب: يمتاز بالبساطة، والاقتضاب، والتكثيف، والإيجاز، وإصابة المعنى الهادف؛

– الرمزية: استعانة بعض الأمثلة بالحيوانات التي تمثل رموزا إيحائية، وأقنعة سيميائية دالة، تمرر مجموعة من الرسائل المباشرة وغير المباشرة؛

– الطابع الأنتربولوجي: بمعنى أنه وثيقة أنثربولوجية وسوسيولوجية بامتياز. تستجلي ثقافة الإنسان الأمازيغي الريفي، وتستكشف طبيعة عقليته التفكيرية والعملية؛

– الطابع الموسيقي: يتميز بالتجانس الهرموني، وتناغم ألفاظه وحروفه وفواصله وحركاته ويتسم بتناسق في الجمل والعبارات، وتواز في التراكيب والمفردات والجمل بساطة وتضاما؛

– بلاغة التعيين والتضمين: بمعنى أنه يتأرجح بين البلاغة في التعيين والتصريح من جهة، وبلاغة التضمين والإيحاء والترميز من جهة أخرى؛

– الطابع الموضوعاتي المتنوع: بمعنى أنه متعدد المواضيع، والأغراض، والتيمات (المرأة، الأرض، القيم، السحر، الحب...)؛

– الطابع الفلكلوري: هي جزء من الفلكلور الذي تعتمد عليه الثقافة الشعبية بالريف[15].

ب– نماذج من الأمثلة الشعبية الريفية

تروج في الريف أمثلة شعبية عديدة تتناول مختلفة مناحي الحياة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– " ءيزرا أومنغي توراقاضن غاراكاج" وتعريبه "أحجار التراشق تلتقط من بعيد"، أي أن الأحجار اللازمة لرشق الخصوم والأعداء يجب الحصول عليها قبل المعركة، وكثيرا ما يستعمل المثل في المواقف التي تتطلب تحضير العدة والتجهيزات المبكرة واتخاذ القرارات في الوقت المناسب لمواجهتها وكسبها؛

– "ءيزمار غايكن ءيشري يهار اك سدس"، بمعنى أن الحمل الذي سيصبح أجود خروف يظهر عندما يكون وسط أقرانه؛

– "ءاقموم يقنن وارثتيدفن ءيزان" ، وتعريبه "الفم المغلق لا يدخل إليه الذباب"[16]، وهنا نوع من الدعوة إلى التزام الصمت، وتجنب الكلام الكثير لا سيما في المواضع التي لا تتوفر فيها على معطيات؛

– "رعقر باباس ن شويت شويت"، وتعريب هذا المثل هو "التأني هو عين الحكمة والعقل والرزانة"، بمعنى أن يكون الإنسان حكيما في اتخاذ قرارته؛

– "ذافنطازيت باباس ن اتاقلوق": وتعريب هذا المثل " العجلة من الاعتداد الزائد بالنفس والغرور والتهور"، وهنا دعوة إلى تجنب التكبر الذي يؤدي في أحيان كثيرة إلى التسرع في اتخاذ القرارات الأمر الذي يترتب عنه نتائج عكسية؛

– ذامقيت ذامقيت إتشار أوغزار"، وتعريبه" يمتلئ النهر قطرة قطرة"، وهذا المثل يدعوا إلى التسلح بالصبر، بحيث يمكن أن يصل المرء إلى ما يتوخاه عبر مراحل (خطوة بخطوة)؛

– "إحا(ر)موشن أوبنين ثادا(ر)ث"، وتعريب هذا المثل هو "الأطفال لا يبنون المنزل"، بمعنى (لا يكونون أسرة)؛

– "أ(ر)كاز برا ثامغا(ر)ث أم ثمزيدا برا يا جا(رثير"، وتعريبه "الرجل بدون زوجة كالبيت بدون مطهرة"[17]، وهنا نستحضر أهمية في حياة الرجل، فهي نصف المجتمع؛

– "ءاعاديس ءايجيونان وايتيشي ءاك ءوعاديس ءيجونان"، وتعريبه " لا يحس البطن الشبعان بالبطن الجائعة"، بمعنى لا يحس الأغنياء بالفقراء؛

– "ءامذياز نادشار وايسفوروج"، وتعريبه " مطرب الحي لا يطرب"، بمعنى أن فنان المدشر لا يستطيع أن يثير أهل الحي أو يجذبهم إليه، فهم لا يقدرونه ولا يحترمونه؛

– "ءاغيور ءاشامرار ويتودار"، والمقصود " الحمار الأبيض لا يتيه"، بمعنى من كان واضحا فهو واضح؛

– "ءاقموم ثيمسي ءيفاسان ذارشي"، وتعريبه "الفم من النار واليد من العجين"، بمعنى يقول أكثر مما يفعل؛

– "ثيماسي سادوروم"، وتعريبه " النار تحت التبن"، بمعنى المظاهر تخدع الإنسان أو كما يقال الهدوء الذي يسبق العاصفة[18].

وهناك أمثلة عديدة لا يسعنا ذكرها غير أنها بالمجمل تحمل في ثناياها رسائل وقيم متنوعة، لهذا يتطلب العمل على جمع هذه الأمثال بهدف حمايتها من الاندثار لما لها من أهمية قيمية، فعبرها يمكن غرس قيم العمل، والتضامن، والتسامح، والصبر، والتواضع...الخ.

4- الحكاية الشعبية في الريف

إن الحكاية أو "تنفوست – ثحاجيت" باللغة الأمازيغية " تاريفيت"، تعتبر من أهم الفنون التي استأثرت ولا تزال تستأثر باهتمام الجماهير الريفية، نظرا لما تكتنزه من جمالية وفنية، وما تقدمه للسامع "المتلقي من متعة وإفادة ولما توليه من أهمية لهموم وقضايا الإنسان ومآسيه وتحثه على التوعية والإدراك لما يعيشه[19].

والحكي الشعبي بالريف لا يخرج في إطاره العام عن الحكايات الشعبية العالمية، رغم اتسامها ببعض الخصوصيات المحلية، إذ أنه في كل الثقافات البشرية لا يخرج عن مجالات الخرافات والأساطير والميثلوجيا، وهي في العموم مليئة بالعبر والتعابير الرمزية التي تحيل على الواقع الميثلوجي الريفي في مراحل معينة من تاريخه، إذ تعبر عن وجدان أصحابها ومعتقداتهم وهمومهم وعاداتهم[20]، فهي لها دور كبير في نشر القيم بين الأطفال فغالب الحكايات تحاول إبراز خصال التضامن والتعاون والصبر والتسامح...، وتضع الشر في زاوية الخاسر.

أ- خصائص الحكاية الشعبية الريفية

ما يميز الحكاية الريفية أنها لما مراسيم وضوابط تؤطرها وتضفي عليها طابع ترفيهي وجمالي وقيمي منها؛

- الشفوية: فالحكاية الشعبية قائمة على ثنائية الكلام والسمع، فهي تنتقل من جيل إلى أخر عبر الرواية والحفظ واستنطاق الذاكرة، ولم يتم تدوينها إلا مؤخرا، بعد أن ظهرت دراسات وأبحاث استهدفت جمع الحكاية الشعبية الأمازيغية[21]؛

- نوع سارد الحكاية: في الغالب ما يكون سارد الحكاية امرأة مسنة مثل الجدة والأم والعمة والخالة[22]، وهي التي تكون مهيمنة في عرض الحكاية، والعارفة بكل شيء، وتشغل ضمير الغياب، وتلتزم الحياد الموضوعي، بالابتعاد عن المشاركة داخل الحكاية[23]؛

- زمن الحكي: الذي يكون ليلا، فبعد انتهاء أفراد الأسرة من العمل المضني في النهار، يجتمع الكل في مكان معين للبدء في السمر للاستمتاع للحكايات، والعرف كان يقتضي بألا تحكي هذه الحكايات نهارا لاعتقاد كان سائدا في الريف مفاده أن الحاكي سيتعرض أطفاله للصلع وتساقط الشعر[24]؛

- اللازمة: التي يكررها الحاكي في مقدمة كل الحكايات التي تكون بعبارة "حاجيت ماجيت سيكسو تيازيت ناش اذشاغ ثمصاد شك اتشذ ثقينسات أي بمعنى حكيت حكاية كسكس الدجاج أنا أكل الفخذة وأنت تأكل .."، وفي حكاية أخرى كالتالي "حجيت ماجيت، سيكسو تيازيت، نش أذ شاغ ثمصات، شك أتشاذن نقونيت" وترجمتها كالتالي "حكيت حكاية ، كسكس بالدجاج، أنا أكل الفخذة وأنت تأكل المؤخرة"، ويرمي الحاكي بهذا الاستهلال إلى سرد وقائع الحكاية في جو من التشويق والمتعة[25]؛

- ترديد المستمعين لعبارة: "سر ما تخاف، مارا ثوادا اتناف أي اذهب لا تخشى ان اختفت سنجدها"، ويعني هذا أن المتلقي السامع يساهم في بناء الحكاية، ويقوم بتمطيطها بالتذكر والاسترجاع، واستعادة الأحداث المنسية، وتقديم المساعدة الفنية للراوي في استكمال خطاطته السردية والحكائية[26]؛

- الزمن السردي: يرتبط بزمن ماض في القدم، ويتمثل التحديد الزمني الخارق في هذه العبارة التي أصبحت لازمة في البداية، ومفتاحا للسرد الحكائي الشعبي الأمازيغي بالريف"توغا ذي أزمان أومان، أي كان في زمن الماء"[27]؛

- اتصاف الحكاية الشعبية الريفية بالطابع الفانطاستيكي، حيث تتحول الشخصيات الحكائية إلى كائنة خارقة مخيفة مثل: الغولة "ثامزا: أو الغول "أمزيو"، أو تتحول إلى شخصيات عجيبة مؤثرة: كتحول "نونجا الجميلة" إلى حمامة، كما في حكاية نونجا وعكشة[28]؛

- اختتام الحكاية: بترديد الحاكي لازمة ختامية يقول فيها "كيغد سا ذسا واراذايي يوقع شا أي مررت من هنا وهنا ولم يقع لي مكروه"، وهذه العبارة تدل على التفوق في سرد الحكاية[29]؛

ولكل ضابط من الضوابط بعد في الثقافة الريفية، فافتتاح الحكاية بضابط "أكل الكسكس والدجاج" مرده نشر المتعة والبهجة والترويح عن النفس، لكون هذه الوجبة تعد من الأطباق التي كان المطبخ الريفي وما زال يولي لها الاهتمام والعناية بها لا سيما في المناسبات الدينية، بينما ارتباط الحكاية بالمرأة الكبيرة السن فهي لتجربتها في الحياة ولدورها الكبير في تربية الأبناء، فإن كان الخارج فضاء للرجل، فالمنزل هو فضاء المرأة وكلما زاد سن المرأة تقدما إلا وزادت هيمنتها على شؤون البيت، وهي بذلك بسردها للحكاية تظهر أهميتها في تربية الأبناء والتكفل بتنشئتهم عبر تزويدهم بمجموعة من الأدوات الرمزية لتنمية خيالهم[30] لا سيما أن للحكاية بعد قيمي غني وزاخر.

والجدير بالذكر أن التعبير الحكائي الريفي يقوم على عوالم عجائبية مثل "ءامزيو- الغول" و "ثامزا- الغولة"، وشخصيات حقيقية مثل "الملك، الفقير، الغني، المرأة، الأبناء" كما نجد في الحكاية أيضا مجموعة من الحيوانات ك" القطط، الثعابين، الفئران..."[31].

ب- مقاصد ووظائف الحكاية الشعبية الريفية

تحوي الحكاية الشعبية الأمازيغية بصفة عامة، والحكاية الأمازيغية الريفية بصفة خاصة، مجموعة من المقاصد والرسائل المباشرة وغير المباشرة، يمكن إجمالها في النقط التالية:

- الخاصية الاجتماعية: تصور لنا الحكاية الشعبية الأنشطة الاجتماعية التي يقوم بها الإنسان الأمازيغي، بحيث تتحول الحكاية الشعبية إلى وثيقة اجتماعية وتاريخية وأنتربولوجية واثنوغرافية، ترصد لنا مختلف الظواهر الاجتماعية التي كانت معروفة في المجتمع الأمازيغي[32]؛

- الخاصية الأخلاقية: تقدم لنا الحكاية الشعبية الأمازيغية مجموعة من العبر والعظات والحكم والأمثال في مجال القيم والأخلاق والفضائل بغية تمثلها بشكل من الأشكال، والعمل بها في حياتنا اليومية والواقعية؛

- خاصية الإمتاع والإفادة: تهدف الحكاية الشعبية الأمازيغية إلى التسلية والإمتاع والترفيه من جهة، والتثقيف والإفادة من جهة أخرة؛ لأنها كانت في ذلك الوقت تعمل عمل القنوات التلفزية والإذاعية اليوم[33]؛

الوظيفة التعليمية التربوية: بحيث تقوم الحكاية الشعبية على تعليم الصغار، وتعمل على تنشئتهم تنشئة صحيحة، وتربيتهم تربية عقلية ووجدانية وحسية وحركية متوازنة؛

- الحكاية الشعبية مادة ثرية لأدب الأطفال: بما أن الحكاية الشعبية بمثابة حكاية فانطاستيكية قائمة على العجيب والغريب، أو بمثابة سرد لقصص الحيوان، فهذه الحكايات صالحة لتقديمها إلى الأطفال، باعتبارها مادة أدبية دسمة لتهذيب الأذواق فنيا وجماليا، والسمو بالطفل معرفيا، ووجدانيا، وجسديا[34].

ومن الحكايات الشعبية الشهيرة بالريف:

- "نونجا وعكشة"

- "الأخوين"
- "القنفذ والذئب"
- "اعمار وأخته" و"مارغيغضا"
- "القنفد والذئب"؛

وهناك حكايات أخرى عديدة ومتنوعة، ما يميزها أنها دائمة الانتصار للقيم الايجابية.

وقد أصبحت اليوم للأسف الحكاية الشعبية بالريف عرضة للاندثار والضياع، بعد أن انتشرت داخل الأسرة الريفية بدائل ثقافية جديدة من تلفاز وأنترنت فأصبح الأطفال يقبلون على هاته الوسائل لتتبع البرامج الترفيهية من رسوم متحركة ومسلسلات وغيرها ففقدت الأم دورها كحاضنة للأطفال عبر الحكاية.

نتائج البحث

تعد الأمثال، والحكايات الشعبية من الموروثات الأدبية القديمة بالريف، حيث نجح الريفيون في ابتكار أمثال عديدة تميزت بالاقتضاب والأصالة والواقعية، ولم تكن موضوعاتها خارجة عن إطار هموم السكان وقضاياهم، بحيث كانت تشكل الأمثال وسيلة للتعبير عن كل ما يخالج نفسية الإنسان الريفي، في قالب إبداعي يغلب عليه المجاز في التعبير.

وبدورها الحكاية الشعبية كان يغلب عليها طابع الإبداع وأيضا الجمالية سواء في المضمون أو الشكل، بحيث كانت تخضع الحكاية لمجموعة من الضوابط أثناء السرد، إلى جانب أنها كانت تحمل في طياتها قيما إيجابية عديدة تصب في منحى انتصار الخير على الشر.

ولحماية هذا الموروث الشعبي من الاندثار يستوجب العمل على سن برامج هادفة إلى جمع الأمثال والحكايات الشعبية وتدوينها، لا سيما بعد أن أصبحت الشبكات العنكبوتية وشاشات التلفاز هي الطاغية في التوظيف من قبل الأسر الريفية، وهو الأمر الذي ساهم في اندثار عدد كبير من الموروثات الأدبية بما فيها الحكايات والأمثال.

الهوامش

[1]- أسامة خضراوي، الأدب الشعبي: الماهية والموضوع، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 30، السنة الثامنة، صيف 2015، ص 76

[2]- نفسه، ص 77

[3]- نفسه، ص77

[4]- حجوبي بوشتى، الثقافة في التاريخ الحكاية الشعبية: مقاربة سوسيوبيداغوجية، تقديم ادريس مقبول، دار نشر المعرفة، الرباط، ط 2020، ص 205

[5]- فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المسيرة بيروت، مكتبة مربولي القاهرة، ط 2، 1987، ص 39- 40

[6]- حجوبي بوشتى ، الثقافة في التاريخ الحكاية الشعبية: مقاربة سوسيوبيداغوجية، مرجع سابق، ص 204

[7]- أسامة خضراوي، الأدب الشعبي: الماهية والموضوع، مرجع سابق، ص 77

[8]- أسامة خضراوي، الأدب الشعبي: الماهية والموضوع، مرجع سابق، ص 78

[9]- محمد أفقير، الأدب الأمازيغي: من الشفاهية إلى التدوين والكتابة، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 72، نونبر 2006، ص 59

[10]- راشدة صوام، حضور الحكاية الشعبية الأمازيغية في الجنوب الجزائري – دراسة سوسيوثقافية-، ضمن الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري أعلامه وقضاياه الفنية والموضوعية، الجزء الثاني، أعمال الملتقى الوطني، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، 2018، ص 13

[11]- نفسه، ص 13- 14

[12]- جميل حمداوي، السرد الأمازيغي بمنطقة الريف، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، الناظور- تطوان،، المملكة المغربية، ط1، 2020، ص 73

[13]- نفسه، ص80

[14]- نفسه، ص82

[15]- جميل حمداوي، السرد الأمازيغي بمنطقة الريف، مرجع سابق 84- 85

[16]: - عبد الهادي امحرف، بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف، ضمن التراث في جبال الريف واقع وافاق، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة ودراسات وأبحاث رقم 04، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص254- 255

[17]- دافيد مونتكومري هارت، أيث ورياغر قبيلة من الريف المغربي دراسة إثنوغرافية وتاريخية، الجزء الأول، ترجمة: محمد أونيا - عبد المجيد عزوزي- عبد الحميد الرايس، منشورات جمعية صوت الديموقراطيين المغاربة في هولندا، هولندا، ط 2، 2016، ص279

[18]- جميل حمداوي، السرد الأمازيغي بمنطقة الريف، مرجع سابق، ص92- 93

[19]- لالة مريم الكمون- جمال الدين السراج، الحكاية الشعبية في الأدب الأمازيغي (منطقة الريف نموذجا)، ضمن الريف دراسات وقضايا، تنسيق منير كلخة- ميمون أزيزا، مطبعة قرطبة، وجدة، ط1، 2021، ص 54

[20]- عبد الهادي امحرف، بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف، مرجع سابق، ص 250- 251

[21]- لالة مريم الكمون- جمال الدين السراج، الحكاية الشعبية في الأدب الأمازيغي (منطقة الريف نموذجا)، مرجع سابق، ص 54

[22]- عبد الهادي امحرف، بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف، مرجع سابق، ص 252

[23]- لالة مريم الكمون- جمال الدين السراج، الحكاية الشعبية في الأدب الأمازيغي (منطقة الريف نموذجا)، مرجع سابق، ص 55

[24]- عبد الهادي امحرف، بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف، مرجع سابق، ص 251

[25]- نفسه، ص 251

[26]- لالة مريم الكمون- جمال الدين السراج، الحكاية الشعبية في الأدب الأمازيغي (منطقة الريف نموذجا)، مرجع سابق، ص 54

[27]- نفسه، ص 55

[28]- نفسه، ص 55

[29]- عبد الهادي امحرف، بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف، مرجع سابق، ص 252

[30]- نفسه، ص 251- 252

[31]- نفسه، ص 252

[32]جميل حمداوي، السرد الأمازيغي بمنطقة الريف، مرجع سابق، ص70

[33]- نفسه، ص 70- 71

[34]- نفسه، ص 71